جمعية احياء التراث الاسلامي
مركز المخطوطات والتراث
تحقيق التراث
٨



تاريخ مولد العلماء ووفياتهم

تصنيف:
أبي سليمان محمّد بن عبد الله بن زبر الربعي
المتوفى سنة ٣٧٩ هـ

يليه
تاليه وهو ذيل عبد العزيز الكتاني
المتوفى سنة ٤٦٦ هـ

يليه
تاليه زيادات لهبة الله بن الأكفاني
المتوفى سنة ٥٢٤ هـ

تحقيق
محمّد المصري

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق

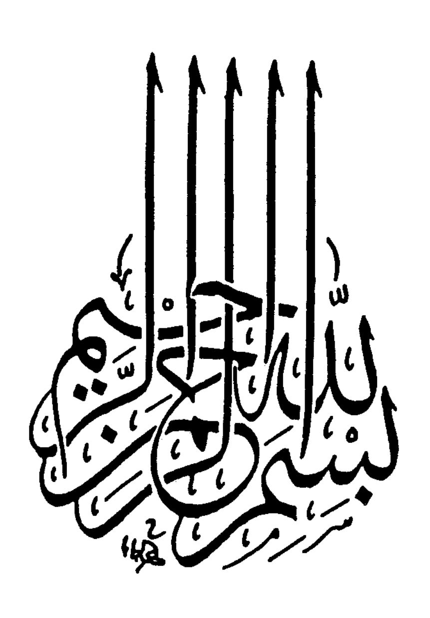
الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.



منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق

ص.ب ٣٩٠٤ الصفاة 13040 الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فإن مدوّني التاريخ وكتبه من علماء المسلمين على مر العصور في أمتنا ليسوا بالقليل وإن ما كتبوه ليس هيِّناً ، ولم يكن فناً واحداً إنما قسّموه ـ التاريخ ـ إلى أقسام عدة ـ وهو الفن الواحد ـ وشعبوه إلى شعب متنوعة حتى ليقول القائل : إذا أردت أن تصبح عالماً في التاريخ فادرس في مدرسة التاريخ الإسلامي التي روادها أولئك الجهابذة الأفذاذ ـ صناع علم التاريخ ـ وإلا فلست بعالم .

لقد خلف لنا علماؤنا تركة ضخمة من أخبار العباد والبلاد فلم يتركوا بلداً أو بقعة أو أثراً من الآثار أو جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم إلا أفردوها بالمصنفات والوصوفات بل أكثر من ذلك التغني والتشهي بها ، يقول ابن المبارك في وصف بغداد :

إلزم الثغر والتعبد فيه ... ليس بغداد مسكن الزهاد
إن بغداد للملوك محل ... ومناخ للقارئ الصياد

وقال آخر :

إذا سقى الله منزلاً فسقى ... بغداد ما حاولت من الدايم
يا حبذا صحبة العلوم بها ... والعيش بين اليسار والعدم

وقال آخر :

طيب الهواء ببغداد يشوقني ... قدماً إليها وإن عاقت معاذير
فكيف صبري عنها الآن إذ جمعت ... طيب الهواء بين ممدود ومقصور

وقال آخر في وصف مدرسة في حلب :

في بـــاب فـــردوس حلـــب   سطـــرٌ من الخـــط عجـــب
فيـــه صحـــاف مـــن ذهـــب   هـــن صحـــاف مـــن ذهـــب

وقال آخر في وصف مدائن قد هدمت وملوك قد فنيت :

تلك المـدائـن بالآفـاق خاويةً   أضـحـت خرابـاً وذاق المـوت بانيهـا
أين المـلوك الـتي عن حظهـا غفـلت   حتى سقـاهـا بكـأس المـوت ساقيهـا

وقـد ذكروا لنا حتى البساتين والمتنزهات ووصفوها بأحسن الأوصاف بل كان أحدهم يتشهى أن يكون في لحظته في المتنزه الفلاني - كما يتشهى أحدنا بالسفر إلى البلد الفلاني اليوم .

يذكر العلامة محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد : ص٨٩» تذاكُرَ العلماء المتنزهات فيقول : قال السمعاني : سمعت الأمير أبا نصر الميكالي يقول : تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الأبلة . وقال آخرون : بل سُغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان ببغداد ، وقال بعضهم : شعب بوّان بأرض فارس ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ .

وكما وصفوا البلدان والمتنزهات . . . وصفوا علماءهم ومشايخهم ومدرسيهم كما رأوهم من غير إطراء أو تجن ، فهذا محمد كرد علي يصف شيخه طاهر الجزائري قائلاً :

«كـان سمت الشيخ وهنـدامه سمت العوام وهندامهم في عصره ومصره ، عمامته من الأغباني ، في جبة بسيطة ، وقفطان قطن ، وزنار مزدوج يخبيء فيه بعض الدراهم ، وألبسته من صنع الوطن إلا النظارتين والطربوش ، ويختار من القمصان والسراويل ما خفّ ثمنه ، ليطرحه إذا اتسخ ولا يشغل ذهنه بغسله ، وكثيراً ما يلبس قميصين وزوجين من السراويلات ، وقفطانين وصدرتين وجبتين ليكون على أتم الاستعـداد لما يطـرأ على أحد الزوجين ، فينبذه حالاً ، ويستعيض عنه بأخيه ، دون انتظار شيء آخر . وقد لا يستعمل المناديل المتعارفة المعمولة من القطن ، فيعمد إلى اتخاذ مناديل من الورق الغليظ ، يضم بعض أجزائه إلى بعض فيكون دفتراً ، يلقيه بعد أن يتسخ كله . وكان يطهر جسمه ، ولا ينظف ثيابه كثيراً ، أصيب بهذه الخلة خصوصاً بعد أن فقد والدته في صباه ، ولم يبق له من رَحِمه امرأة تتعهده

أبـداً بنظافة ثيابه والعناية بظواهره وأنى له هو أن يسد مسد أمه في ذلك ، وفكره مشغول بمطالب عالية أخرى قد لا يتسع لمثل هذه الجزئيات في رأيه» .

وقال :

«ومن عادة الشيخ أن يحمل في جيوبه وعبابه بعض الدفاتر والرسائل بل أقلاماً ودواة ، ومقراضاً وسكيناً ، وإبراً وخيوطاً ، وشيئاً مما يحمل من النواشف والخبز والجبن والزبد والتين والزبيب وفي بعضها مادة دهنية دسمة يخشى أن تسيح كالشواء ، وما دخله سمن أو زيت من المآكل ، يضع ذلك في مُقَوَّى أو ورق غليظ ، ويستعمله عندما يريد ويطعم أصحابه إن أحبوا» .

وقال :

«وكان يكره الاستعمار كرهاً شديداً ، ويحب المدينة ، ويحث على تعلم لغات الغرب ، وكان الشيخ كثيراً ما ينشد قول البهاء زهير :

يا أيها الباذلُ مجهودَه ... في خدمةٍ أفٍّ لها خدمة
إلى متى في تعب ضائعٌ ... بدون هذا تأكل اللقمة
تشقى ومن تشقى له غافلٌ ... كأنك الراقص في الظلمة»

وإذا عرضنا نماذج مختلفة من أعمال القوم فلا يفوتنا أن نذكر من آلت إليه الرئاسة ، ففي تأريخ التاريخ عرض الإمام الذهبي رحمه الله ـ وهو الذي لم يأت بعده من يخط التاريخ بمثل براعته ودقته ونقده ـ كتب التاريخ مقسمة إلى أربعين فناً ، قال السخاوي : ورأيت بخط الحافظ المؤرخ العمدة أبي عبد الله الذهبي ما نصه «فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير ولم أنهض له ، ولو عملته لجاء في ست مئة مجلد» .

١ ـ سيرة نبينا ﷺ .
٢ ـ قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
٣ ـ تاريخ الصحابة رضي الله عنهم .
٤ ـ تاريخ الخلفاء من الصحابة ، ومن بني أمية ، وبني العباس ، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر .

٥ ـ تاريخ الملوك والدول والأكاسرة ، والقياصرة ، ومعهم ملوك الإسلام كابن طولون والإخشيد ، وابن بويه ، وابن سلجوق ونحوهم . وملوك خوارزم ، والشام ، وملوك التتار ، ومن لقب بالملك .

٦ ـ تاريخ الوزراء أولهم هارون عليه السلام ، وأبو بكر ، وعمر ، وطائفة . وبعضهم دخل في الأنبياء ، وفي الخلفاء وغير ذلك ، وفي الملوك .

٧ ـ تاريخ الأمراء والأكابر ونواب الممالك وكبار الكتاب ومنهم خلق من الموقعين وبعضهم أدباء وشعراء .

٨ ـ تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب وأئمة الأزمنة والفرضيين ، قلت ويدخل فيه أهل الاجتهاد ممن قلد ، وغيرهم .

٩ ـ تاريخ القراء السبع .

١٠ ـ تاريخ الحفاظ .

١١ ـ تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم .

١٢ ـ تاريخ المؤرخين .

١٣ ـ تاريخ النحاة والأدباء واللغويين والشعراء والبلغاء والعروضيين والحُسّاب .

١٤ ـ تاريخ العُباد ، والزهاد ، والأولياء ، والصوفية ، والنساك .

١٥ ـ تاريخ القضاة ، والولاة ، ومعهم تاريخ الشهود ، والأمناء .

١٦ ـ تاريخ المعلمين ، والوراقين ، والقصاص ، والطرقية ، والغرباء .

١٧ ـ تاريخ الوعاظ ، والخطباء ، وقراء الأنغام ، والندماء ، والمطربين .

١٨ ـ تاريخ الأشراف ، والأجواد ، والعقلاء ، والأذكياء ، والحكماء .

١٩ ـ تاريخ الأطباء والفلاسفة ، والزنادقة ، والمهندسين ، ونحو ذلك .

٢٠ ـ تاريخ المتكلمين ، والجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، والكرامية ، والمجسمة .

٢١ ـ تاريخ أنواع الشيعة من الغلاة ، والرافضة ، وغير ذلك .

٢٢ ـ تاريخ فنون الخوارج ، والنواصب ، وأنواع المبتدعة ، وأهل الأهواء .

٢٣ ـ تاريخ أهل السنة من علماء الأمة ، وصوفيتها ، وفقهائها ، ومحدثيها .

٢٤ ـ تاريخ البخلاء ، والطفيلية ، والثقلاء ، والأكلة ، وذوي الحمق ، والخيلاء والسفهاء . قلت : «ولم يتعرض لضدهم من الكرماء والأجواد كأنه للاكتفاء بالأجواد فيما تقدم . وقد اجتمع لي منهم جملة» .

٢٥ ـ تاريخ الأضراء ، والزمني ، والصم ، والخرس ، والحدبان .
٢٦ ـ تاريخ المنجمين , والسحرة ، والكيمائيين ، والمطالبين ، والمشعوذين .
٢٧ ـ تاريخ النسابين ، والإخباريين ، والأعراب .
٢٨ ـ تاريخ الشجعان والفرسان والشطّار .
٢٩ ـ تاريخ التجار ، وعجائب الأسفار ، والبحار ، وغرباء البحرية ، والمجردين .
٣٠ ـ تاريخ أولي الصنائع العجيبة ، والرشقين في أشغالهم واقتراحهم وتوليدهم فنون الأعمال .
٣١ ـ تاريخ الرهبان ، وأولي الصوامع والخلوات والأحوال الفاسدة .
٣٢ ـ تاريخ الأئمة والمؤذنين والموقّتين والمعبرين ، والعامة .
٣٣ ـ تاريخ قطاع الطريق ، والغداوية ، ولعاب الشطرنج والنرد والقمار .
قلت : «وترك الرمي بالنشاب» .
٣٤ ـ تاريخ الملاح ، والعشاق ، والمتيَّمين ، والرقاصين ، وشربة الخمور ، والعرر وأهل الخلاعة ، والقيادة ، والكذب ، والأبنة .
٣٥ ـ تاريخ أولي الدهاء والحزم والتدبير ، والرأي والخداع والحيل .
٣٦ ـ تاريخ المنـديين (المكدين) والمخايلين ، والصانعين ، والفرشيين والمخنثين ، وأهل المجون ، والمزاح ، والتجر ، والتلار ، والكذب .
٣٧ ـ تاريخ عقلاء المجانين ، والموسوسين ، والمتمرمين ، والمدمّغين ، والمطعومين .
٣٨ ـ تاريخ السائلة ، والشحاذين ، والمتمنين ، والحراشفة ، والجمرية .
٣٩ ـ تاريخ قتلى القرآن والسماع والفرع والحال .
٤٠ ـ تاريخ الكهان ، وأولي الخوارق والكشف الذي كأنه كرامات ، من الفسقة وغيرهم .

«قال فهذه أربعـون تاريخاً إن جمعت في مصنف واحـد جاء في غاية الطـول ، يكون وقر بعير . وإن أفردت فقد أفرد الفضلاء كثيراً منها ، ويتكرر الرجل في تاريخين وثلاثة فأكثر» .

ولقد صنف الحافظ الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» وأورد تواريخ جميع الأصناف التي ذكرها الذهبي .

قال : «يشتمل على وصفها وتخطيطها وما كانت عليه من الحضارة والمدنية «يترجم فيه» : الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأشراف «من علية الناس وسائر طبقات حملة العلم» النحاة والصرفيين والبيانيين واللغـويين والقراء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين «من سائر النحل»

والمنطقيين والأصوليين والمجتهدين والفقهاء والقضاة والفرضيين «من سائر المذاهب» والزهاد والنساك والمتصوفة والقصاص والوعاظ والرياضيين والحُسّاب والمهندسين والفلكيين والمنجمين والموسيقيين والأطباء والصيادلة والجراحين والكتاب والخطاطين والمتأدبين والأخباريين والنسابين والمؤرخين والعروضيين والشعراء والمغنيين والرماة والفرسان وحذاق الصناع . ممن نبغ فيها أو ورد عليها «من غير أهلها» وما انتهى عليه كناهم وألقابهم وأنسابهم ومشهور مآثرهم ومستحسن أخبارهم وتاريخ وفياتهم مرتباً على الحروف وختمه بذكر شهيرات النساء والإماء ومستملح لطائفهن» .

إذن «إن التأليف في كتابة تاريخ أمة أو فترة خاصة لا يعني إلا شيئاً واحداً هو : إظهار تطور الفكرة التاريخية لدى مؤرخي تلك الفترة أو الأمة وتطور معالجتهم العلمية ، وكذلك وصف أصول صور التعبير الأدبي ونموها أو انحطاطها ، تلك الصور التي استعملت لعرض المادة التاريخية»[1] .

ولقد «خص العرب المسلمون علم التاريخ بجانب كبير من اهتمامهم ، لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية ، وحوادث الأزمان السابقة ، ولاهتمامهم بالأنساب فرووا أخباره ، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من الروايات وألفوا فيه ، ولم يتركوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني القديم والمعاصر لهم إلا سجلوا تاريخه ، ولذلك حفلت مصنفاتهم بجوانب متعددة من أحوالهم المعاصرة ، فلم تخل كتبهم من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مما يمكن أن يؤلف تاريخاً للحضارة العربية في العصور الإسلامية المختلفة ، ولذلك أيضاً كان كثير من رواد علم التاريخ رواداً لعلم الجغرافية في نفس الوقت ، وكان التاريخ والجغرافية في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يسمونها «الأدب» بوجه عام ، فكما كان من الضروري للعربي أن يعرف لغته ، نثرها ونظمها وشعراءها وكتابها فكذلك كان لا بد أن يعرف أنساب العرب وأخبارهم وسيرة الرسول ﷺ وأخبار الفتوح الإسلامية وتواريخ الخلفاء والدول وكان لزاماً عليه ـ إكمالاً لثقافته ـ أن يعرف بلاد الإسلام ومدائنها والطرق إليها مع ما تيسر من أحوال أهلها وصفاتهم وعاداتهم ، ومن هنا فإنه من العسير أن تفصل بين المؤرخ والجغرافي والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي»[2] .

---

(١) د. حسين مؤنس «الجغرافية والجغرافيون في الأندلس» .

(٢) مقدمة العلامة صالح العلي في ترجمته على كتاب روزنثال «علم التأريخ عند المسلمين» ص٩ ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

والكتاب الأول الذي بين أيدينا هو واحد من الكتب التي دونت تواريخ العلماء حسب المولد والوفاة مع ذكر طُرفٍ من حياتهم وعلمهم ـ تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ـ وهو للحافظ محمد بن عبد الله بن زبر الربعي ويعرف بابن زبرة (أبو سليمان) (٢٩٨-٣٧٩هـ) .

والثـاني ، تالي كتـاب (مولد العلماء ووفياتهم) للحافظ عبد العزيز بن أحمد بن محمد الدمشقي الكتاني (أبو محمد) (٣٨٩-٤٦٦هـ) .

والثالث ، زيادات على تالي كتاب و(تاريخ مولد العلماء ووفياتهم) فهي لهبة الله بن أحمد ابن هبة الله الأنصاري الدمشقي (أبو محمد) يعرف بابن الأكفاني (٤٤٥-٦٢٤هـ) .

وكما يقول المحقق : «وضع ابن الأكفاني هذه الزيادات على ما أضافه الكتاني إلى كتاب الوفيات لأبي سليمان بن زُبَر ، فذكر فيه وفيات الرجال على السنين أيضاً ، على غرار صنيع سابقين ، وبدأ بسنة ٤٦٣هـ من حيث انتهى سلفه الكتاني . وانتهى بغاية سنة ٤٨٥هـ ، ولم ترد فيه وفيات سنتي ٤٧٥ و٤٨١هـ » .

محقق الكتاب الأستاذ محمد المصري معروف في حقل التأليف والتحقيق ، وهو في غنى عن التعريف ، وقد طبع له المركز تحقيقاً سابقاً وهو «البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» للفيروزآبادي .

. . . كلمة لا بد منها .

لقد توقفنا كثيراً قبل أن نطبع هذا الكتاب لأخبار وردت إلينا من بعض الشيوخ وطلبة العلم بأن هناك داراً في الرياض تطبعه من تحقيق بعض أفاضل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ولما كان من أهداف المركز عدم طبع المطبوع أو المحقق الذي في طريقه إلى الطبع توقفنا للتأكد من ذلك الخبر فأرجأنا دفعه إلى المطبعة ستة أشهر ، ثم كررنا بعد هذه الفترة الاتصال بالمكتبة المعنية بالأمر فلم تعطنا خبراً يفيد أنها تطبعه أو تحت الطبع ـ فرأينا أنه ليس من الأجدى والمفيد أن يتأخر كتاب تراثي ـ لطالما انتظره الباحثون سنوات ـ إلى أكثر من هذا حيث أن المحقق قد عرضه ـ قبل عرضه على المركز ـ على إحدى الجهات الرسمية فلم تستطع طبعه لتوقفها عن طبع الكتب ولكبر حجم الكتاب الذي يُتوقع أن يكون في جزء كبير .

هذه معلومـة مهمـة أردنا أن يعرفها القارئ لأن دور المركز في خدمة التراث الإسلامي والعربي لا في تلك النظرة المادية الضيقة ، وإنما المنظور أو المنطلق الذي يسير وفقه هو خدمة هذا التراث العزيز وإخراجه من مكنونه ومحبوسه وعدم التكالب أو التدافع على كتاب واحد ، وهنـاك الكثير من الكتب المهمة والنادرة والعزيزة التي تحتاج إلى تهيئتها للخروج بالتحقيق المتقن والجاد من قبل أئمة هذا الشأن المعروفين .

والله نسأل التوفيق والسداد وأن لا يخيب الرجاء وأن يجعله خالصاً لوجهه وعنده متقبلاً إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم لقائه .

محمد بن إبراهيم الشيباني

مدير مركز المخطوطات والتراث والوثائق